Journal Of the Iraqia University (74-7) November (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

تمثلات الألم في شعر خالد الكاتب دراسة في البعد النفسي

حوراء عبدالله نجم قسم اللغة العربية كلية التربية للبنات جامعة بغداد

بإشراف :أ. د. شيماء نجم عبدالله

Hawraa Abdullah Najm
Hawraa.Abdullah1702m@coeduw.uobaghdad.edu.iq
Shaimaa.najm@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الخاتمة

إنّ الألم في شعر الطبيعة موضوعًا بارزًا لجأ إليه الشاعر للتعبير عمّا يختلج في نفسه ولا يستطيع البوح به فتأتي الطبيعة بدورها في تجسيد معاناته ،فتصبح الناطق المعبّر عن آلامه وأحزانه بوساطة العناصر التي تحمل كل واحدة منها الكثير من المعاني النفسية التي تتشابه مع عواطف الانسان وتقلباته المزاجية ،وأنّ أكثر عناصر الطبيعة حضورًا في شعره عنصري (الشمس ،والقمر) إذ غلبت على أكثر ديوانه ،ولا سيما في تشبيهاته وتصويره حسن واشراق وجه محبوبته بالشمس والقمر المنير ،وأنّ العلاقة بين الطبيعة والمرأة في شعره ما هي إلّا مشاعر مكبوتة ،وقلق داخلي نفسي يعيشه الشاعر كشف عنه بالاستعانة بعناصر الطبيعة التي ربطها بالمرأة في تشبيهاته ،وصوره الشعرية خاصة البصرية منها ،ونلمح أنّ الشاعر عبر عن رغباته المخزونة في اللاوعي في صورة نصوص شعرية إبداعية أفصحت عن مشاعره ،وأحزانه ،وآلامه فضلًا عن الخضوع الذي يتسم به في بعض أبياته الشعرية كوسيلة للتقرب والتودد إلى الحبيبة .

Conclusion :

Pain in nature poetry is a prominent theme that the poet resorts to in order to express what is in his soul and which he is unable to reveal. Nature, in turn, embodies his suffering, becoming the speaker who expresses his pain and sorrows through the elements, each of which carries many psychological meanings that are similar to human emotions and mood swings. The most present elements of nature in his poetry are the two elements (the sun and the moon), as they predominated in most of his collection, especially in his similes and his depiction of the beauty and radiance of his beloved's face with the sun and the bright moon, and the relationship between nature and women in his poetry is nothing but repressed feelings and internal psychological anxiety that the poet lives, which he revealed by using the elements of nature that he linked to women in his similes and poetic images, especially the visual ones. We notice that the poet expressed his desires stored in the subconscious in the form of creative poetic texts that revealed his feelings, sorrows, and pains, in addition to the submission that characterizes him in some of his poetic verses as a means of getting closer and courting his beloved.

الملخص

يعد الألم في شعر الطبيعة من أبرز الدوافع النفسية التي نجدها في شعر خالد الكاتب كونه شاعر عباسي عاش أوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية وعاطفية صعبة إذ لم يكن من طبقة الناس المترفة التي تمتعت بالثراء في العصر العباسي عصر التحضر والازدهار أما حياته العاطفية فكانت متقلبة يتلذذ فيها قليلًا ثم يتألم أضعاف لذته وبما أنّ شاعرنا اقتصر شعره على الغزل فكان من الطبيعي أن يمزج في أغلب مقطوعاته بين الألم في شعر الطبيعة والغزل بالمرأة إذ تحولت الطبيعة في تجربته الشعرية إلى شريكٍ شهد حالاته النفسية والوجدانية ،وكشف هذا البحث عن توظيفه عناصر الطبيعة ليشكّل صورًا توضح عمق ألمه وحزنه الكامن في نفسه ،فضلًا عن أهمية المرأة في شعره التي تغزل بها متلذذًا ومتألمًا .وبينت في مقدمة موجزة شرحًا عن الطبيعة في العصر العباسي وعلاقتها بالألم ،وعاطفة الحب كونها من أهم الأسباب النفسية التي دفعت بالشاعر إلى التألم واللجوء إلى الطبيعة في ضوء المنهج النفسي الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة .

الكلمات المفتاحية :الألم ،الطبيعة ،الشعر ،الحبيبة ،الغزل

Abstract:

Pain in nature poetry is one of the most prominent psychological motivations that we find in the poetry of Khalid Al-Kateb, as he was an Abbasid poet who lived through difficult social, economic, political and emotional conditions, as he was not from the wealthy class that enjoyed wealth in the Abbasid era, the era of civilization and prosperity As for his emotional life, it was volatile, he would enjoy it a little and then suffer double the pleasure. Since our poet limited his poetry to love poetry, it was natural for him to mix in most of his pieces the pain in nature poetry and love poetry for women, as nature in his poetic experience was transformed into a partner who witnessed his psychological and emotional states. This research revealed his use of natural elements to create images that illustrate the depth of his pain and sadness hidden within himself, in addition to the importance of women in his poetry, which he flirted with pleasure and pain. In a brief introduction, I explained nature in the Abbasid era and its relationship to pain, and the emotion of love as one of the most important psychological reasons that drove the poet to suffer and resort to nature in light of the psychological approach that I relied on in this study.**Keywords: pain, nature, poetry, beloved, flirtation**

الألم في شعر الطبيعة: تختلف الطبيعة على وفق رؤية الشاعر ،والمحيط الذي عاش فيه ،فكما ذكرنا في الفصل السابق إنَّها أول ما يتأثر بها الإنسان لما لها من أثر عميق في نفسيته ،ولطالما كانت الملاذ الآمن الذي يلجأ إليه في لحظات فرحه وحزنه ،ولقد تطور شعر الطبيعة على وفق تطور وازدهار المدن في العصر العباسي فقد ((شهد العصر العباسي تطورًا في موضوعات شعر الطبيعة ،وذلك من خلال تأثير الحضارة الجديدة)) (حمزة حسن الرفاتي ،٢٠١٩م ،٣٥) وإنَّ الشاعر ((العربي حساس يأسره الجمل ،وكان شاعر طبيعة ،يتأمل فيها ،ويبثها آلامه ،وينسى عندها أحزانه ويحبها ،ويفتن بها ،ويصورها كما امتثلتها نفسه)) (الحوفي ،دت ،١٢٨) فيجد الشاعر في الطبيعة الملجأ الذي يواسيه كما لو أنها رفيقًا يواسيه ،ويشكو لها معاناته فتتحول الطبيعة من مجرد متلقي إلى كائن حي شاخصٍ يستمع له ،وتعكس تلك الحالة الوحدة والضياع الذي يشعر به وحاجته النفسية إلى من يشاركه حزنه ،ويمكن ترتيب عناصر الطبيعة التي وظفها الشاعر على النحو الآتي:**الشمس والقمر:** وهما من أكثر العناصر التي وظفها وضمنها الشعراء في قصائدهم إذ أكثروا من تشبيه محبوباتهم بهما فيسير شاعرنا على خطى من سبقه من الشعراء وبصورة خاصة شعراء العصر العباسي الذي شهد أحداثه ،وجمال طبيعته فتأثر بها وتأثر بشعرائه ،فيأخذ الشاعر من الشمس والقمر صورة الإشراق والنور لوصفه المحبوبة التي يجعلها بمكانة أهم عنصرين متضادين متعاقبين في الحياة فيربط أهمية وجودها في حياته بأهمية وجود الشمس والقمر في الكون ،وبالأرض كونها الوطن الذي يحتضنه في قوله :(السامرائي ،١٤٠١هـ/١٩٨١م ،٢٧٥)

مِنْ أينَ لي شَمسٌ أعيشُ بِنورِها
في النَّاسِ ،أو قَمرٌ مُنيرٌ حاضرُ
مِنْ أينَ في الأرضِ الأريضةِ رَوضةٌ
إنْ لَمْ يكُنْ أو غُصْنُ بانٍ ناضِرُ

إذ يعكس الشاعر حزنه العميق بوساطة الاستفهام الإنكاري (من أين لي) الذي يدل على شعور حاجته للحبيبة التي تعد مصدر النور في حياته ويخاف فقدانها كونها النور الذي يضيء له حياته مما يعكس قلقه الداخلي من الظلام الذي يرمز إلى الخوف والقلق ،ويكرر تساؤله مستنكرًا بأنَّه لن يجد أرضًا مزهرة غيرها وهو يرمز بها إلى الحياة والأمل الذي يفتقده ،مما يعكس لنا حالته النفسية المليئة باليأس والحزن. فيشبه محبوبته بالشمس في ظهورها وغيابها ،ولكن هناك اختلاف قائم بينهما وعكس حالة الحرمان الذي عاناه من عدم رؤية الحبيبة فهي لا تطلع دومًا كالشمس ،وتغيب عنه كثيرا إلَّا أنّها تشبهها في نورها وضيائها واشراقها : (السامرائي ،١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٩٥)

يُوافِقُ شَمسَ الضُّحَى في النَّهارِ ولكنْ يُخالفُها لِلطلوعِ

ويستعين الشاعر بأسلوب التشبيه للتقريب بين صورة المرأة الحسناء ،والقمر المضيء لما للتشبيه من قوة في تقريب المعنى فأنه ((إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها جمالًا ،وزادها كمالًا ،وضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها))(المدني ت ١٠٥٢-١١٢٠هـ ،١٣٨٩هـ -١٩٦٩م ،١٩٥) وهذا ما أراد توضيحه الشاعر في قوله: (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٢٦)

أشكو إلى اللهِ من مَحاسنهِ أكثرَ مِمَّا أنْ يُشبهَ القَمرا
لو أنَّ من لِينهِ وَرِقّةِ بقلبهِ ما جفَا ولا هَجَرا

فيبدأ الشاعر بشكواه إلى الله سبحانه وتعالى لتعاظم ألمه وحزنه في نفسه المُتعَبَة من محاسن تلك الحبيبة التي يراها كالقمر في حسنها ونور وجهها ،وإلى بعده وصعوبة الوصول إليه ،وهذا ما يبينه البيت الثاني بوصفها كونها امرأة هاجرة وعديمة الوصل تمتلك قلبًا قاسيًا لا يلين ،ولا يعطف عليه .

ويوظف شاعرنا عناصر الطبيعة كمرآة لعواطفه ومشاعره ،فيخاطب محبوبته التي يصفها وغايته التي يرجوها من الحياة وأمله الوحيد الذي منحه المرض والتعب مما عكس احساسه العميق بالخذلان: (السامرائي ،١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٣٥٨)

يا غايةً في السُؤالِ والأمل
بَذلتَني لِلسَّقامِ والعِلَلِ

يا قَمرًا دانتِ القلوبُ لهُ

يُشرِقُ في غُصنِ بانةٍ خَضِلِ

يستفتح الشاعر مقطوعته بأسلوب النداء فينادي محبوبته بالغاية التي يريدها من تلك الحياة وإنّ إتيانه لأسلوب النداء في (يا قمرا) لمخاطبة الحبيبة أضفى على البيت طابعًا عاطفيًا مليئًا بالحزن مستعيناً بأسلوب التشبيه البليغ لمناداة حبيبته بالقمر المشرق على الأغصان الرطبة في صورة بصرية مبالغ بها إذ وظف لفظة (يشرق) للقمر كناية عن شدة نوره الذي ينعكس على الأغصان وبما أن الطبيعة تعد ((من أهم مصادر الإلهام للشعراء يلجأون إليها فتمد قلوبهم بمشاعر الغبطة ،والفرح ،والحزن ،والرجاء ،والخوف فيزاوجون بين كل هذه المشاعر مجتمعة فيأتي الشعر معبرًا عن كل هذه المعاني)) (محمد صديق حسن عبد الوهاب ،١٤٢٨-١٤٢٩هـ /٢٠٠٧-٢٠٠٨م ،٥٧) فنلحظ أن شاعرنا لجأ إلى عناصر الطبيعة للكشف عن مشاعره ،وأحاسيسه المتناقضة بين لذة بالجمال ،وألم من الفراق ،والخوف ،والغياب ،والسهر ،والبكاء فنجده يوظف عناصر الطبيعة مثل (القمر ،الغصن الرطيب ،الكثيب) للتعبير عن ألمه ، في قوله : (السامرائي ،١٤٠١هـ /١٩٨١م ،١٤٥)

أيَا قمَرًا على غُصنٍ رَطيبٍ و يا غُصنًا تَضمّنهُ كثيبُ

عليكَ بِكَ استعنتُ فإنَّ جسمِي عليكَ أراهُ مِن كمدٍ يذوبُ

تظهر ملامح الاستعطاف وتذلل الشاعر ليأسه ،فقبل أن يستعين بالمحبوبة أشار إليها بالقمر لجمالها وبعدها عنه فلم يشير إليها بالقمر فحسب بل جعلها انعكاس القمر على الأغصان التي يعلوها الماء فمن شدة رطوبتها تعكس ضوء القمر فهي صورة بصرية أوضح فيها الشاعر عن صعوبة رؤيتها ،والوصول إليها ما هو إلّا شيء وهمي ،ثم يصورها بالغصن الرطيب لرشاقة حركتها وكرمز للحياة والجمال ،ثم يشكو من الكمد الذي يكاد يذوب جسمه بفعل معذبته ومحبوبته في الوقت نفسه .ويعاني خالد الكاتب من ألم الهجر الذي حرمه من الاستمتاع بجمال رؤية الحبيبة فهي عنده كالبدر المنير الذي يستمد منه النور في حياته فاستعان بعنصر (البدر) ،والألفاظ (ضياء ،ينيرها) كي يوظفها لتمثل مكانة تلك المرأة في حياته فيقول : (السامرائي ،١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٤١)

قد أبى الهَجرُ أنْ يَدِ مَّ لِعيني سُرورُها

بِضياءِ الدُّنيا وَمن هُوَ بَدرٌ يُنيرُها

ثَمِلًا خَلَّةً وَفتـ رةَ عَينٍ يُديرُها

يتحدث الشاعر عن تأثير النظرة من عيون الحبيبة فيصور نفسه وكأنَّه ثمل من الحب لشدة تعلقه ،وتأثره بكل حركة منها فهو ما أن يحاول أن يبلغ السرور بقرب من يحب إلّا وقد عاوده ألم الهجر والبعد ينغص عليه سروره ذاهبًا بضياء الدنيا كناية عن الحبيبة والتي هي بدر لهذه الحياة التي هي تنظر إليه بنظرة ثملة تارة وفتور عين تارة أخرى عارضًا ذلك في مبالغة طريفة وخيال متدفق ينبض برهافة الحس الذي يقوده إلى تخير هذه الألفاظ التي تنقل جمال هذه المحبوبة من عالم المحسوسات إلى عالم آخر يقرب من الكمال وهو ما يزيد ألمه بابتعاد هذه المحبوبة .فيقدم الشاعر في مقطوعاته الشعرية صورة لرغباته المكبوتة ،وانعكاسًا لمشاعره الكامنة في نفسه فأنّ الأدب وبقية الفنون في رأي فرويد ما هي إلّا ((شكل من أشكال التعبير عن هذه الرغبات المكبوتة وصورة من صور التنفيس الشكلي عن اللاوعي المختزن)) (خليل ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ،٥٦) وللإفصاح عن هذه المشاعر والرغبات استعان الشاعر بعناصر الطبيعة التي أعانته على رسم صور غير مباشرة بينّت تلك الرغبات فأصبحت الطبيعة مرآة الشاعر التي تعكس أحاسيسه الداخلية ،ويعبر عن ألمه ،وأحزانه بوساطة عنصري الشمس والقمر كما وظف الأساليب البلاغية من تشبيه ،واستفهام ،ونداء لإيصال المعنى بصورة أعمق تأثيرًا في نفس المتلقي **الليل والنهار**:يتخذ الشاعر من صورة الليل والنهار رمزين متناقضين يعكسان حالته النفسية المتأزمة ،ففي كثير من الأحيان يخاطب الليل والنهار كأنّهما كائنين حيين يشاركانه وحدته ،ويحمّلهما معاناته ،ويتحول في أحيان أخرى إلى عبء عليه يحمل في طياته الوحشة ،والذكريات المؤلمة ،والشعور بالوحدة ،وطول الزمن ،ويعد هؤلاء الشعراء من ((ذوي الإحساس ،وأكثر الناس يجزعان من الليل ،لا بل يلومونه ويذمّونه ويكرهونه ويتشكون طوله)) (الرازي ،١٤١٣هـ/١٩٩٣م ،٢٠-٢٢) فيعاني شاعرنا من الليل الذي يجعل حزنه ،وألمه في ازدياد مستمر فلا يرى الصبح إلّا بعد طول الألم والليل الذي يُعذب قلبه ،ويُثقله بالهموم ويهلك جسمه بالأمراض والضعف ،وهو ما عبر عنه بقوله :(السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٤٥٠)

ما يُقبِلُ اللَّيلُ إلَّا ازددتُ في كَمَدِي

ويُقبلُ الصُّبحُ إلَّا ازددتُ في حَزَنِي

هذا عذابٌ على طَرفي وذاك على

نفسي وقلبي وأسقامٌ على بَدَني

ويوضح في مقطوعة أخرى طول ليلته التي امتدت بلا نهاية ،وامتد ألمه معها بقوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٣٦)

يا ليلةً طالتْ على ناظِرِي كأنَّها كانتْ بِلا آخِرِ

سَهِرتُها شَوقًا إلى راقِدٍ عَدا الكَرَى عن طَرْفيَ السَّاهِرِ

يَا لحظةً أسقمَني سَقمُها وَفترةً في طَرفِهِ الفاتِرِ

لا صَبرَ لي عن قَمرٍ مُشرقٍ مُرَكَّبٍ في غُصُنٍ ناضِرِ

فإن تكرار وتوظيف ((الضمائر بكثرة ،دليل على ربط الشاعر الضمير الدال على المتكلم وفكرة الملكية ،وعمق المصيبة دال على الذاتية الحزينة)) (شهلاء خالد محمد رضا ،٢٠٢٠، ٧) وهذا ما نجده في (كمدي ،حزني ،طرفي ،نفسي ،قلبي ،بدني ،ناظري ،أسقمني) ، وتتضح حالته الوجدانية التي يغلب عليها الشوق ،والسهر من شكواه من طول ليلته وكأنها بلا نهاية فأنَّ الليل بالنسبة للشاعر ما هو إلَّا زيادة للألم ،وصراع مع السهر بسبب شوقه الشديد ،ويستعين بعنصر الطبيعة (القمر) ليعبر عن جمال المحبوبة وليعكس شعوره بالبعد عنه فالقمر بعيد المنال كالحبيبة ،وعكس ألمه إلى جانب شعوره بالجمال بتصوير رشاقتها بـ (الغصن) .وبما أن الشاعر عاش الحرمان العاطفي في تجربته مع الحب ،ولم يبقِ وسيلة تُقربه من محبوبته إلَّا ولجأ إليها فيتخذ من الخضوع وسيلة للتودد إلى الحبيبة يفتدي المحبوبة بأبيه ليظهر صراعه النفسي العاطفي مع طول ليله الذي تحول إلى نهار على عيونه ،وبقائه مستيقظًا بسبب البكاء من الشوق والحزن الذي صيّر خده مكانًا مناسبًا للدموع بقوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٤٨-٢٤٩)

بِأبي مَنْ جَعَلَ اللَّيـ لَ على عَيني نَهارا
وَلفيضِ الدَّمعِ خَدَّ يَّ مَحلًّا وَقرارا
مُشرقٌ يُشبهُهُ البَد رُ إذا البَدْرُ أنارا
لم يُجِرْ قلبي من الوَجـ دِ بهِ حيثُ استَخارا

إنَّ هذا الجمال يزيد معاناته كونه بعيد المنال ،وهو ما جاء بتوظيفه التشبيه المقلوب بتشبيه البدر المنير بوجه المحبوبة فيذكر المشبه البدر ،والمشبه به وجه الحبيبة أما أداة التشبيه فذكر لفظة صريحة هي الفعل (يُشبهه) ووجه الشبه هو الإنارة كون محبوبته مصدر النور والبهجة عنده ،وفي الوقت نفسه لا يمكنه الهروب من حزنه فهو سجين هذا الحب حتى لو حاول مقاومة مشاعره ويفيد من رمز الفرج والنور ألا وهو الصباح لتصوير حالة الحرمان والحزن الشديد الذي يعيشه لغياب المحبوبة عنه في موازنة جميلة تجمع بين ضوء النهار ،وظلمة الليل الذي وصفه بالسرمدي الذي لا نهاية له دلالة على امتداد عذابه وألمه ،لنستمع إليه وهو يقول: (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٣٠)

لا مَنامٌ لهُ ولا إسفارُ
ليلُهُ سَرْمَدٌ وليسَ نَهارُ
صَدَّ عنهُ الصَّباحُ مُذْ صدَّ عنهُ
لا يَزورُ الصَّباحُ مَنْ لا يُزارُ

فيعاني شاعرنا من ثلاثة أمور بينها في تلك الأبيات ،أولهما قلة النوم والسهر ،وثانيهما ليله الطويل الأبدي المستمر بتعذيبه ،وصدود الصباح عنه لصدود الحبيبة ،فهو يشخص النهار ككائن حي يزوره كل يوم ويصد عنه بصدود المحبوبة كرمز لفقدان الأمل ،والفرح ،والنور في حياته .نلحظ أنّ ليل العاشق ليل طويل يُتعب نفسه التي تبحث عن ضوء الصباح ،وتُبغض ظلمة الليل ووحشته والسهر الذي يعانيه جراء فراق الحبيبة أو صدودها عنه مما يكشف عن نفسية الشاعر المُثقلة بالأحزان فيشعر بأنّ الليل بطيء طويل لا نهاية له ،ويبحث عن الضوء (وجه الحبيبة المشرق) الذي يضيء له حياته فيجد السعادة ويتخلص من آلامه ،وأحزانه بوجودها فكان لعنصر الليل والنهار مكانة مهمة في شعر خالد الكاتب إذ عكس بوساطة التضاد الذي يربطهما تقلباته النفسية بما حملت تلك الفترة الزمنية من رموز الوحدة ،والظلام ،والأحزان المكبوتة ،والتأمل ،والشعور بالغربة والاشتياق فضلًا عن المعاناة المستمرة التي تستمر بطول الليل الذي يجعله في صراع داخلي بين ما يراه من ظلام الليل وبين ما يتمناه من ضوء النهار والتخلص من ألمه.**النجوم** :جسَّد خالد الكاتب مشاعره بتوظيف الطبيعة السماوية ولا سيما عنصر النجم رمزًا لتشبيه المحبوبة ،وذلك إشارة للجمال ،والبُعد ،والضياء .وكشف عن معاناته ،ووحدته عندما جاء بمعانٍ تحمل دلالة السهر ،والأرق ،ومرارة الانتظار كما في قوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،١٨٨)

كَمْ ليلةٍ كفّي على خَدّي أرعى نجومَ اللَّيلِ بالسُّهُدِ
أُعيذ قلبي بكَ يا مالكي رحمًا بهِ من رَوعةِ الصْدّ

إذ طالما ((كان الشعراء يتوجعون لطول الليل ورعي النجوم))(نوفل ،١٩٤٥م ،٢٩٧) يبدأ الشاعر مقطوعته بأسلوب الاستفهام موظفًا الأداة (كم) ليبين مدى شعوره بالألم من السهر فقد تألم الشاعر من كونه وحيدًا يعدّ لياليه الطويلة ،وهو يعاني السهر ،والأرق من الحزن الشديد فيرعى النجوم وكأنَّه حارسًا عليها إلَّا أنّه لا يذوق طعم النوم لمخاوفه وحالاته النفسية المتقلبة ،ويعبر عن طول الليل بصورة أخرى تضاعف فيها الإحساس بالشكوى والألم في مقطوعة له يقول فيها :(السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٤٧٢)

ولم أشكُ طولَ اللَّيلِ حتَّى رأيتُني
أُقلّبُ طَرفًا يَرقُبُ النَّجمَ باكيا
وإنسانُ عيني أنحلَ الدَّمعُ جسمَهُ

((خَميصَ)) (ابن منظور،١٤١٩هـ-١٩٩٩م ،٢١٩/٤) الحَشَا من لذّةِ النَّومِ ((طاويا)) (ابن منظور ،١٤١٩هـ-١٩٩٩م ،٢٣١/٨)

ظهرت ثنائية اللذة والألم في تصوير الشاعر ألمه من البكاء والسهر ونحول جسمه حتى أصبح ضامر البطن لأرقه وسهره ،إلى جانب لذة النوم التي حُرِمَ منها ويفتقدها للتخلص من جسمه المنطوي الناحل لكثرة البكاء والسهر ،فقد عانى الشاعر ما عاناه من هذا الحب الذي أسهره ليله في حالة بين الكآبة والقلق فتقيم النجوم عنده بأمر من الليل الطويل كحزنه ،الثقيل على قلبه ونفسه كقوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٢٠)

أبيتُ كأنَّ الليلَ قال لِنجمهِ أقمْ لا تُجبْ داعي الصَّباحِ ولا تَسرِ

وَأضْحَى جَديدُ الهَمّ والشوق باليا ولا أحسبُ الآفات إلَّا من الهَجْرِ

إذ ((يعتبر الليل مصدرا من مصادر هموم الشاعر ،فتجتمع الآلام والأحزان عليه فترهقه على الرغم من أن الليل للراحة)) (أسماء رحمون ،٢٠١٨-٢٠١٩م ،٢٢) إلَّا إنَّ الشاعر يعاني من حالة نفسية مضطربة ويعاني من السهر وأرقه وهو يشعر بطول الليل وبطئ الوقت حتى تكاد النجوم تكلمه وتخفف عنه ألمه ،وذلك في قوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٥٣١)

راعَى النُّجومَ فقد كادَتْ تُكلِّمهُ

وانهَلَّ بعدَ دموعٍ يا لها دَمُهُ

أشفَى على سَقمٍ يُشفى الرَّقيبُ بهِ

لو كان أسقمَهُ من كانَ يَرحمُهُ

إذ عبر الشاعر عن لوعته الشديدة في تصوير النجوم وهي تكاد تحادثه وفي ذلك دلالة على وحدته ومعاناته الطويلة مع الليل ونجومه التي ((كشفت عن نفس قلقة مضطربة متشائمة))(شيماء نجم عبدالله ،٢٠٠٩م ،٥٣٦) فيعيش الشاعر حالة من التوتر العاطفي والحزن المكبوت ،والوحدة التي دفعته بالتوجه إلى النجوم كرمز للبحث عمّن يشاركه أحزانه ،وللتخلص من وحدته فيهرب إلى العالم الخارجي حيث يجعل النجوم على وشك أن تكلمه وتشاركه همومه دلالة على المراقبة الصامتة المؤلمة كونها تدل على الوحدة ،وحاجة الشاعر إلى إطلاق مشاعره المكبوتة ،والتنفيس عن نفسه يعد عنصر النجم من العناصر التي أعانت خالد الكاتب على إظهار مشاعره الكامنة في نفسه ،إذ يرمز النجم إلى السكون ،والمراقبة الصامتة يشارك الشاعر وحدته ،وانعزاله فتصبح النجوم رمز الشاعر التي تعكس أحاسيسه الداخلية فتضفي على الأبيات الشعرية بعدًا نفسيًا أعمق كونها المرآة الصامتة لتلك المشاعر المكبوتة فيشعر القارئ بتفاعل الطبيعة مع أحزان الشاعر وآلامه**الماء (المطر ،البحر ،النهر ،السحاب)** :يؤدي عنصر الماء دورًا هامًا في شعر خالد الكاتب ،ويعد الماء العنصر الجوهري في الطبيعة فقد ((فتن الشاعر بالماء كما فتن بكل ما شاهدته عينه في طبيعة بلده من ظواهر فلذلك تجده يلهج بذكره في شعره ،كصورة ضمن مشهد يصوره ،أو في سياق التشبيه والاستعارة ضمن أغراض أخرى)) (بومدين كروم ،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ،١٨٦) ،وقد وظفه الشعراء في قصائدهم بطرائق مختلفة ،فيعد رمزًا للحياة ،والصفاء وقد ذُكر الماء كمصدر طبيعي ضروري في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لّقَومٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة ،آية ،١٦٤) ،إذ نجد أن الشاعر يوظف عناصر الطبيعة هذه لبيان شدة ألمه وأحزانه مسخرًا ما يجده حوله يصور معاناته وأحزانه من ذلك تشبيه النؤى والأمطار بالدمع المنهمر من عينيه وذلك بقوله :(السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٩٧-٢٩٨)

وإنْ تَكُ أضحتْ فَوقَ خَدّكَ رَوضةٌ

فإنَّ على خدَّيَّ ((نؤًا)) (ابن منظور ،١٤١٩هـ-١٩٩٩م ،٣١٥/١٤) من الدَّمعِ

سلِ المطرَ العامَ الذي عمَّ أرضكُمْ

أجاءَ بِمقدارِ الذي فاضَ من دمعي

إذ يعكس الشاعر حالة البؤس التي يعيشها في الموازنة بين حاله وحال المحبوب الذي أصبح خدَّه روضة مزهرة بينما خدَّه مثقلًا بالدموع ،ويقارن باستخدامه أسلوب الاستفهام بين المطر ودموعه ،ويحاول القول إن حزنه ودموعه أكبر من المطر الذي يروي الأرض وعلى الرغم من أنَّ المطر ((مصدر العطاء والسبب الأساسي من أسباب البقاء والاستمرار)) (عطوي ،١٤١٤هـ -١٩٩٤م ،٧٢) إلَّا أنّ الشاعر صور (المطر) بصورة متناقضة عندما عكس دوره من جلب الخير وإحياء الأرض إلى رمز الحرمان والفراق : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٢٦)

فَحالَ بيني وبينَهُ مَطرٌ

يَنتقِمُ اللهَ لي من المَطَرِ

فأصبح المطر عائقًا آخر يحول بينه وبين المحبوب ،وحرمانهما من اللقاء ،فيظهر الشاعر غضبه ومدى الألم والحزن العميق الذي عاشه ،فيدعو على المطر الذي فرقهم وآلمه أن ينتقم الله منه فهو بدلًا من أن يكون عنصرًا جميلًا للخير والنماء أصبح مصدر الحزن عنده. كونه فرّق بينه وبين محبوبته .

ويستمر بوصف معاناته وحزنه بسبب الحب الذي جعله متصلا بالبكاء معبرًا عن حالته النفسية التي يعيشها ،فيوظف المطر كرمز للبكاء الشديد ،ويكشف لنا عن حالة الحزن العميق الذي جعله غارقًا بالدموع : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٦٩)

هواكَ وكَّلَ بالعينينِ مُتَّصلًا

من الدُّموعِ يُبارِي جَرِيُهُ المَطَرا
إذا تَرَقَّقَ بالأجفانِ أسبَلها
وَجَدٌ شَدّا على خدَّيَّ فانحدَرا

يبدأ الشاعر بذكر المسبب الرئيس لحزنه وبكائه ،وهو (الهوى) فإنّ حبه مرتبط بعينيه فالعين مرآة الروح والقلب إذا شكى الإنسان من شيء بان ذلك في عينيه ،فجاء تشبيه دموعه بالمطر دلالة على شدة بكائه واستمراريته ،ويشير إلى أن بكاءه قد يكون هادئًا أحيانًا لكن عندما يشتد الشوق عليه تتحول دموعه إلى سيول منهمرة على خديه.ويعتمد الشاعر على أسلوب الوصف الدقيق والتشبيه لخلق صورة خيالية متكاملة و ((رغبة منه في التأثير في المتلقي ،ومن جانب آخر إظهار قدرته على الخلق والإبداع))(شيماء نجم عبدالله ،٢٠٢٠م ،١٠٢) فيستعين بالعناصر (بدر ،غصن ،رمل ،الوبل والهطل) لرسم صورته الجمالية بقوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٣٨٤)

إلى مُشْرِقٍ من وجهِ بَدرٍ مُركّبٍ
وآخرَ مَبسوطٍ من النُّورِ مُنحَلّ
ضِياءٌ منيرٌ فوقَ شُعْبةِ بانةٍ
على رَمْلةٍ رَيَّا منْ الوَبْلِ والهَطْلِ

فيشبه الشاعر جمال المحبوبة تشبيهات طبيعية تزخر بالضياء ،والأشجار ،والمطر ،وتعد كل واحدة منها رمزًا لوصف جمال الحبيبة ،فشبهها بالبدر للجمال والاشراق ،وشجرة البان للرشاقة ،والرملة المبتلة من المطر لرقتها ونعومتها وأنوثتها المتكاملة فنلحظ ارتباط عناصر الطبيعة بالمرأة شكّلت ظاهرة بارزة في شعره فأنّه لا يصف أو يصور المرأة بصورة مباشرة بل يبين صفاتها بوساطة عناصر الطبيعة .لم يقتصر عنصر الماء في شعر خالد الكاتب على المطر فقط ،بل تعداها للإفادة من البحر والنهر لما يحملان من رموز نفسية تعكس التقلبات النفسية التي يعيشها الشاعر كما يرمزان إلى الغموض والعمق ذلك في قوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٤٥)

ولمَّا رأيتُ الدَّمعَ غاصَ إلى الحَشَا
وأنْ فؤادي من دموعيَ في بحرِ
نَظرتُ إلى عينيَّ لا ماءَ فيهما
فأيقنتُ أنَّ الدَّمعَ تَحتَهما يَجري
فلولا استبانَ الدَّمعُ في مُضْمرِ الحشَا
تَفَجّرَ أنهارُ الدُّموع من الصَّدْرِ
على أن قلبي ينشفُ الدمعَ حرهُ
وأينَ بقايا الدمعِ في وَهَجِ الجَمرِ

تتضح عمق الآلام النفسية والحزن الذي يعانيه الشاعر في تصويره الدموع وهي تغوص ،وتتغلغل داخل صدره فيغرق فؤاده ببحر من الدموع مما يكشف عن عمق الألم الذي يعيشه واستمراريته ،ويبين لنا في صورة بالغ فيها للكشف عن شدة أحزانه بأن دموعه الكامنة في صدره لو كانت ظاهرة لتحولت إلى أنهار متدفقة لكن حرارة قلبه الملتهب بشوقه وحزنه يجفف تلك الدموع كما أن الجمر يبخر الماء مما دلت هذه الصورة الجميلة عن ثقافة الشاعر ومعرفته بالعلوم الأخرى .
ويوظف ظاهرة مائية أخرى وهي (السحاب) لرسم صورة لدموعه الغزيرة ،وبكائه دمًا لمعاناته وكتمانه بقوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٢٥٤)

ولم أشكُ حتَّى ذابَ قلبيَ في صدرِي
ولم يَبقَ لي من مُقلتي عبرَةٌ تَجرِي
وحتَّى سَقيتُ الخدَّ من بعدِ عَبرتي
سحابَ دَمٍ مِمَّا بَكيتُ على صدرِي

فيظهر الشاعر قوة كتمانه ،وصبره ،وعدم شكواه حتى لو ذاب قلبه ،ولم تعد عيناه قادرة على البكاء ،ويفيد من أسلوب التشبيه فيشبه الخد بالأرض التي تُسقى بالماء ويشبه عينه بالسحاب ودموعه بالمطر الذي يسقي الأرض (خده) وهو تعبير عن ألمه العميق بسبب الفراق ،والحرمان من المحبوبة الذي جعله يرى في عناصر الطبيعة الرموز التي تعبر عن أحزانه ،وحرقته من البكاء .كان لعنصر الماء أهمية بارزة في الكشف عن انفعالات كامنة ،ومشاعر غامضة ،وعميقة فالشاعر يجد في الطبيعة وعناصرها انعكاسًا للمرأة المتقلبة في ودّها ،ولتسليط الضوء على عمق التناقضات النفسية التي يعانيها وقوة التوتر والقلق الذي يعيشه في تلك التجربة العاطفية إذ يتحول هذا الارتباط بين الطبيعة والمرأة من المظهر الخارجي إلى الأحاسيس الداخلية كونها المرآة التي تعكس انفعالات الشاعر

الحيوانات:

وظف الشاعر عنصر الطبيعة الحية (الحيوان) كونه رمزًا تعبيريًا لتصوير حالته النفسية ،وهي وسيلة للتعبير عن الألم والشكوى ،ووصف جمال المرأة وتشبيهها بالحيوانات التي تعد رمزًا للجمال وانعكاسًا لمشاعره وأفكاره ،فأفاد من حيوان (الرشأ) في قوله :(السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٤٢٣)

حَمَى جَفنَ عيني الوَسَنْ وَوكَّلني بالحَزَنْ
رَشأٌ لم يَزَلْ طَرفُهُ يُثيرُ بديعَ الفِتَنْ
كَتمت هواهُ لهُ وخِفْتُ عليهِ الفِطَنْ
فَما أقلعَتْ مُقْلتي عن الدَّمعِ حتَّى عَلَنْ

إنَّ تشبيه الحبيبة بالرشأ هو تشبيه تقليدي معروف في الشعر العربي إذ ((أكثر الجاهليون من ذكر الظباء ،وأوصافها ،والتشبيه بها في طول العنق ،ونصاعة اللون ،وراقتهم فيها تناسق الأعضاء ورشاقتها ،فشبهوا بها كل ما وجدوه رائقًا في نظرهم ،جميلًا في نفوسهم)) (القيسي ،١٣٩٠هـ-١٩٧٠م ،١٤٢) فشبه الشاعر محبوبته بالظبي لجمال عينيها ،وعبر عن ذلك في تكملة البيت وهو يصف عيونها التي تحمل سحرًا ،وأنّ تشبيه محبوبته بالظبي لم يكون لغرض الصفات الجميلة والمظهر الخارجي فحسب بل أنّه يربط بينهما لتصوير حزنه لأنّ عنصر الطبيعة هذا يذكره بنظرات الحبيبة الفاتنة فيكون دافعًا للتألم والحزن وكأنّ الطبيعة بشقّيها الصامت والحي أصبحت رموزًا ترمز إلى محبوبته .ويعقد الشاعر موازنة ضدية لطيفة بين الذلّ ،والعزة في الحب لتبيين حالة الضعف والاستسلام التي يعيشها ،فيشبه محبوبته بثلاثة عناصر في وقت واحد : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٤٥٧)

للذي ذَلَّ من الشَّوقِ فَلِنْ
وإذا عزَّ الذي تَهوىَ فَهُن
كُنْ ذليلًا للذي يَشبَهُهُ
رشأٌ أحوَى وَبدرٌ وغُصُنْ

يجمع في تشبيهه بين العناصر الطبيعية الحية والصامتة (رشأ ،بدر ،غصن) ليشير إلى جمال المحبوبة ،وضياء وجهها ،ورشاقتها وانسيابية حركتها إذ ((لم تعد الطبيعة بمعزل عن رمز الجوهر الأنثوي إذ امتزج بالطبيعة وما تحفل به من صور ومشاهد ،كما لم تنأ المرأة عن الطبيعة في كليتها وشموليتها))(نصر ،١٩٧٨م ،١٦٩) فتتابع التشبيهات المقلوبة في مقطوعته إذ يجعل الرشأ والبدر والغصن عناصر تشبه الحبيبة ،وذكر مثل هذه التشبيهات في مقطوعة أخرى كقوله: (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،١٥٨-١٥٩)

وقالوا هَويتَ غزالًا رَبيبا وبدرَ تَمامٍ وغُصناً رَطيبا
فقلتُ وكيفَ لِمنع الفُؤادِ وقد ملّكتْه العيونُ القلوبا
ومكتئبِ القلبِ باكي العيونِ حَوَى بالتذكّرِ قلبًا مُجيبا
كأن كَرى مُقلتيهِ جرىَ معَ الدّمع يُسعدُ دَمْعًا غريبا

فإنَّه يوظف عناصر الطبيعة (البدر ،الغصن) إلى جانب العنصر الأول وهو (الغزال) كرمز لجمال المرأة ورقّتها ،وجمال عينيها التي سحرته وأسرت قلبه ،ويكمن جوهر الحزن والألم عندما يتألم الشاعر من العشق ،وألم الاشتياق ،والتذكر فتأتي الدموع علامة على معاناته وتهوينًا له في عدم حصوله ونيله مناه وهو أن يحظى بمحبوبته . ويجسد ألم الفراق ،وقوة الشوق مع صراعه النفسي الحاد ،عندما يشتاق للمحبوبة على الرغم من بعدها ،فيقول : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٤٢٩)

أيا وَجدًا يَزيدُ على التَّنائِي أيا شَوقًا إلى رَشأٍ رَخيمِ

فتتجسد معاناته في اشتياقه العميق لمحبوبته التي يتذكرها بحيوان الرشأ لرقتها ،ونعومة صوتها فيضفي على المحبوبة جمالًا آخر مما يزيد من ألمه لبعدها عنه فيتذكرها عند سماعه صوت الرشأ المتصف بالرقة والنعومة فأي احتياج نفسي هذا الذي جعله يتخيل حبيبته في كل ما يسمع أو يرى .

ويعبر عن شدة تعلقه ،وعدم تحمله غياب الحبيبة عنه بقوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٣٦٨)

مثالُ نورٍ يَمشي بهِ غُصُنٌ
يَعجزُ عن حملِ بعدهِ الفيلُ
مَدَّ رياضًا لِلحُسنِ مُشرقةً
لِعينِ فيها عن غَيرها شُغْلُ

إذ يجعلها أنموذجًا مثاليًا من الجمال ،والنور ،والرقة ،إلا إنّه يبالغ بوصف وقع هذا الجمال عليه حتى إنه يقول (يعجز عن حمل بعده الفيل) فهو ثقيل على نفسه غياب من يحب والتي يراها رمزًا للجمال الذي يتنوع كحديقة خضراء مليئة بالجمال الطبيعي . أما الغراب فله حضور في شعر الشعراء فعندما يريد الشاعر التعبير عن ألمه النفسي ،وشعوره بالفقد أو الفراق ،و لم يكن إختياره له عبثًا ،بل لما يحمله هذا الطائر من دلالة تشاؤم وتطير في الثقافة العربية القديمة وعند

الشعراء إذ ((استخدموه في مواضع عدة ولكن معظم الحديث عنه في باب التشاؤم ،لأنه أشأم الطيور ،وليس في الأرض شيء يتشاءم به إلّا والغراب أشأم منه وأنكد)) (القيسي ،١٣٩٠هـ-١٩٧٠م ،١٩٠) كقول عنترة بن شداد : (مولوي ،١٩٦٤م ،١٢١)

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع

فقد أفاد من الغراب لوصف الرحيل وفراق ((محبوبته وخطابه للغراب الذي أخطره برحيلها) (مولوي ،١٩٦٤م ،١٢١)

ويذكره خالد الكاتب كونه رمزًا يستدعي ألم الوداع ،والفقدان ،فيجعله كأداة تعبيرية عن معاناته النفسية ،وأحزانه الدفينة ،فيقول: (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٥٠٦)

سَنَحَ الغُرابُ له بأنكرِ ما تَغدو النَحوسُ بهِ على أحدِ

وابتلعَ أشأمُهُ بأيمنهِ الجَدُّ العثورُ له يدًا بِيدِ

يشعر خالد الكاتب بأنّ شيئًا مشؤمًا على وشك الحدوث ،فيجد ما حوله كلّه يؤكد حتمية حدوثه ،فهو يصور رؤيته للغراب كرمز النحس والمصائب فيعكس لنا حالة التوتر النفسي الذي يعيشه ،ويؤكد استعداده للمصيبة أكثر بمجيئها من مكان يفترض أن يكون مبشرًا (بأيمنه) ،ويلوم حظه العاثر الذي يرافقه دائما .

ونخلص إلى أنّ الطبيعة بمكوناتها كافة ولا سيما الحيوان أصبحت رموز نفسية تحمل في طياتها مشاعر الخذلان ،والفقد ،والحنين فكانت كائنات نفسية تعبر عمّا يجول في نفسه و((يبث في الحيوان مشاعر الإنسان وما يعتريه من وساوس وهواجيس)) (عطوي ،١٤١٤هـ-١٩٩٤م ،٩٤) ،فيعكس الشاعر بوساطة الحيوانات تقلبات النفس البشرية ،ويترجم آلامه على نحو مؤثر وعميق بجعله وسيلة يجسد فيها مشاعره وأفكاره فالحيوان في النص الشعري ليس مجرد كائن حي بل رمز يختصر على الشاعر التعبير الطويل فيعبر بشكل أوجز ،ويوظفها بما يخدم انفعالاته الداخلية ومشاعره من حزن ،وقلق ،وخوف ،وتشاؤم ،وجمال خارجي

النبات: يتحول النبات في شعر خالد الكاتب إلى مرآة تعكس ألمه النفسي ،وعنصر طبيعي يبث فيه ألمه ،ويعبر عن مشاعره وأحاسيسه بطريقة غير مباشرة فالنبات في مراحل نموه يحمل الجمال ،والألم فأخذ الشعراء يعبرون عن مشاعرهم المتضادة من حب وألم ،وسعادة وذبول ،وأمل وخيبة ، ((وقد أدرك العرب الجمال ،وتذوقوه ،أدركوه في الطبيعة ،وأدركوه في المرأة))(الحوفي ،دت ،٢٤) فتصبح عناصر الطبيعة مرآة لوجدان الشاعر ،ووسيلة لتجسيد الألم النفسي ،فيقول : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٣١١-٣١٢)

تُفّاحَةٌ قَبّلتُها شَوقًا وقلبي مُدْنَفْ

شَبْهتُها بِخدّ مَنْ دَمعِي عليهِ يَكفْ

وليسَ في التّفّاحِ مِنْ خَدّ حَبيبٍ خَلَفْ

يا مَن قَضَى البَينَ من الـ بينِ ومنّي انتصّفْ

يتخذ الشاعر من التفاحة رمزًا نفسيًا للتعبير عن اشتياقه ،وألمه المكبوت ،فيشبه التفاحة بالمحبوبة الغائبة ،ويستحضر الذكريات بوساطتها فيقبلها من شدة شوقه الذي أضنى قلبه ،ثم يعود لتشبيهها بخد محبوبته دلالة على حمرته إلّا إنَّه لا يعوض غياب الحبيبة ،ولا يخفف من معاناته. ولم يكتفِ شاعرنا من تشبيه جمال محبوبته ،وتوظيف الاستعارات الجميلة لتصوير حسنها بل ((نعتها وشبهها بأشياء جديدة استقاها من عصره ومما كان في بيئته)) (بكار ،١٩٧١م ،٣٢٢) فكان من الطبيعي تأثر الشاعر ببيئته بيئة العصر العباسي المعروفة بالترف ،والازدهار الحضاري العمراني ،وما تمتعت به بغداد من حدائق وبساتين وقصور جميلة فأخذ الشاعر يمزج بين جمال المرأة ومظاهر التحضّر والترف الذي شهده على الرغم أن شاعرنا لم يحظ بحياة الترف هذه إلّا أنَّه من الطبيعي أن يتأثر بتلك البيئة التي انعكست في نصوصه الشعرية فعبرت عن الحرمان الذي عاشه فيأتي شاعرنا بالورد ولا سيما الياسمين كوسيلة فنية للتعبير عن مشاعره المتأججة فيكون توظيفه للورد حالة متناقضة بين الجمال الخارجي ،والألم الداخلي كما في قوله: (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٤٥٨)

لِمحاسن الوجهِ المَصونِ بالعِزّ عن لَحْظِ العيونِ

وبوجنتينِ شَبيهتينِ الوردَ فوق اليَّاسمينِ

إلّا رثيتَ لِمُدنَف الـ حَركاتِ مُكتئبِ السُكونِ

هنا تظهر جمالية التداخل اللوني في وصفه لوجنة المحبوبة التي تختلط بها لون حمرة الورد ،وعلى الوجنة التي تختلط معها بياض البشرة والتي يشبهها بالياسمين فأيّ التقاطة فنية نُسِجت في مخيلة الشاعر كي يمزج هذين اللونين لتصوير جمال هذه الحبيبة ،فيوظف أسلوب التشبيه بقوله (شبيهتين) لتشبيه وجنتي محبوبته بأرقّ وأزهى النباتات ثم يعكس حالة الحرمان الذي يعانيه كونه لا يتمكن من الوصول إليها ،ويتجلى ألمه النفسي في وصف ذاته المريضة من الحب فلا يملك حيلة من الحزن العميق الذي يعتريه. ويفيد الشاعر من الورد ليرسم صورة المحبوبة البعيدة عنه ويرمز إلى رغباته المكبوتة إلى جانب الرغبات التي مُنِع منها من قبل المحبوبة أو لوجود عائق بينهما ، بقوله : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٤٢٩)

أيَا ريقًا رُقتْهُ منكَ حُجْبٌ

وَوردةُ خَدّهِ صِبغُ النَّعيمِ

يتضح إنّ الشاعر يعاني حرمانًا نفسيًا صامتًا ،فتلك الحبيبة تتمنع عنه كثيرا ،و يظهر شدة هذا الحرمان بوجود حاجز يمنعه من وصال هذا الريق فقد يكون الحاجز ديني أو اجتماعي مما ينتج عنه حالة الصراع الداخلي النفسي الذي يعيشه فيهرب من الواقع باللجوء إلى عناصر الطبيعة فيشبه خدي محبوبته بالورد الذي صبغ بصبغة النعيم ويشير إلى أنّها مفعمة بالراحة والسرور إلّا إنّه محروم منها . وإن توظيف الشاعر عنصر اللون من الطبيعة ووضعه في خد محبوبته يرجع إلى ((إنّ اللون عنصر حسي ،قابل للتطويع الدلالي ،يسعى إليه الشاعر ويتحلق حول استعاراته لا لما يقدم من تشويق حوله ،انما يحقق من مفاهيم اجتماعية ،واصطناع الرمز في مجال الوصف بخاصة .فضلًا عن كون اللون جزءًا من نسيج الصورة الشعرية (التي قوامها الرسم بالكلمات))) (حيدر لازم مطلك ،٢٠٠١م ،٤٠٧) وإلى جانب الدوافع النفسية التي مكنت الشاعر من المجيء بتلك الأبيات التي كشفت عن الأذى النفسي بصورة جمالية بديعة فإنَّ أهم ما ساعده في ذلك هو ((رهافة حسّه ،وطبيعة شخصيته المحبة للجمال المفتونة بالطبيعة ،فهام بها حبّاً فناجى الورد ،وداعب أغصان الأشجار في الرياض واصفا الياسمين والزهور والجداول ،فعبّر عن هذا الجمال مازجا بين المرأة والطبيعة لما بينهما من صفات الحسن والجمال فأسقط مظاهر الطبيعة على المرأة حين تغنى بجمالها ووصف حسنها))(عصام لطفي صباح ،٢٠١١م ،٥١) فيجعل الشاعر من النبات –الورد– أداة يعبر بها عن ألمه العاطفي الداخلي فيقول : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٤٣٦)

فَبحسنِ وَجنتيكَ التي كالوردِ غَضّاً في أوانِه
إلَّا رَدَدْتَ فُؤادَ مَنْ أضناهُ حبُّكَ في مكانِه

ويقول : (السامرائي ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ،٣٣٥)

إنَّ الفؤادَ وما يَليهُ مُذْنَفٌ وشفاؤهُ مِمَّا بهِ بِيديكا
فَوَحسنِ وجهِكَ ما بَدَتْ لي زهرةٌ فَنَسبتُها آلاّ إلى خَديكا

إنَّ تشبيه الشاعر وجنتي المحبوبة بالورد الندي الممتلئ بالحياة ما هو إلَّا تمهيد لمشاعر الألم ،والحرمان فيتوسل بالمحبوبة أن ترد له قلبه الذي أتعبه هذا الحب ،وسلب راحته إلا أن شفاؤه بيديها وحدها ،وهو يتذكرها كلما رأى زهرة وينسبها لخديها الناعمين فقد ساعد عنصر النبات في بيان التناقض بينه وبين المحبوبة فبينما هي تشبه الورد وتنعم بالراحة يعاني هو من التعب والمرض بسبب حبه لها يتضح مما تقدم إنَّ الطبيعة هي مصدر إلهام للشعراء إذ وجد فيها الشاعر العربي ملاذًا ،ومرآة تعكس حالته النفسية ،وتعبر عن مشاعره المتقلبة فنظر للطبيعة على أنها صوت داخلي له لأنها تمنحه الهدوء والراحة ولا سيما ألوان الزهور وأشكال الورد وعطرها الزكي الذي يذكره بالحبيبة ،فعكس بوساطة عناصر الطبيعة صراعاته النفسية ،وكانت غايته التنفيس عن مكنونات نفسه لطالما كانت الطبيعة ولا تزال رفيقة الشاعر الجميلة فهو يرتبط ارتباطًا روحيًا بها في كل زمان ومكان

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

– ابراهيم محمود خليل ،١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م ،النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان –الأردن ،ط١ .

– ابن منظور(٦٣٠–٧١١هـ) ١٤١٩هـ–١٩٩٩م ،لسان العرب ، تصحيح :أمين محمد عبد الوهاب ،محمد صادق العبيدي ،دار إحياء التراث العربي ،مؤسسة التاريخ العربي ،بيروت –لبنان ،ط٣

– أبي الحسين أحمد بن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ) ،١٤١٣هـ–١٩٩٣م ،الليل والنهار ، ،تح :حامد الخفاف ،دار المؤرخ العربي ،بيروت ، ط١.

– أحمد محمد الحوفي ، د.ت ،الغزل في العصر الجاهلي ،مكتبة نهضة مصر بالفجالة ،مطبعة لجنة البيان العربي ،ط١

– أسماء رحمون ،٢٠١٨–٢٠١٩م ،تصوير الليل بين امرئ القيس والنابغة الذبياني (دراسة موازنة) ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر كلية الآداب واللغات ،قسم اللغة والأدب العربي ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة .

– بومدين كروم ،١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ،الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي ،رسالة ماجستير كلية الآداب ،جامعة دمشق .

– حمزة حسن الرفاتي ،٢٠١٩م ،الطبيعة في شعر مهيار الديلمي ، ،رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة آل البيت

– حيدر لازم مطلك ،٢٠٠١م ،اللون في شعر المتنبي ، ،قسم اللغة العربية –كلية التربية للبنات–جامعة بغداد ، مجلة كلية التربية للبنات ،مجلد ١٤ ،ع ٤ (بحث) .

– سيد نوفل ،١٩٤٥م ، كتاب شعر الطبيعة في الأدب العربي ،مطبعة مصر ،د.ط .

– شهلاء خالد محمد رضا ،٢٠٢٠م ،قصيدة أبكيك لونقع الغليل بكائي للشريف الرضي (دراسة أسلوبية) ،جامعة بغداد – كلية الهندسة ،مجلة التراث العلمي العربي ،ع ٤٧ (بحث) .

– شيماء نجم عبدالله ،٢٠٢٠م ،ألفاظ الحرب ودلالاتها في الشعر العباسي ،شعر صردر أنموذجاً :جامعة بغداد :مجلة التراث العلمي العربي ،ع :٤٧ (بحث)

– شيماء نجم عبدالله ،٢٠٠٩م ، نجوم السماء وكواكبها في شعر أبي العلاء المعري الرؤية والتوظيف ،جامعة بغداد–كلية التربية للبنات–قسم اللغة العربية ،مجلة كلية الآداب ،ع ٩٠ (بحث).

- عاطف جودة نصر ،١٩٧٨م ،الرمز الشعري عند الصوفية ،دار الأندلس ،دار الكندري ،بيروت ، ط ١ .
- علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١٠٥٢-١١٢٠هـ) ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ،أنوار الربيع في أنواع البديع ،مطبعة النعمان ،النجف الأشرف ،ط١ .
- عصام لطفي صباح ،٢٠١١م ،الصورة الفنية في شعر الوأواء الدمشقي ،رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم ،جامعة الشرق الأوسط .
- علي نجيب عطوي ،١٤١٤هـ -١٩٩٤م ،ذو الرمّة شاعر الطبيعة والحب ،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ، ط١.
- محمد سعيد مولوي ،١٩٦٤م ، ديوان عنترة بن شداد ،المكتب الإسلامي ،كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،د.ط.
- محمد صديق حسن عبد الوهاب ،١٤٢٨-١٤٢٩هـ /٢٠٠٧-٢٠٠٨م ،الصحراء في الشعر الجاهلي ،أطروحة دكتوراه كلية الدراسات العربية ،جامعة أمدرمان الإسلامية .
- نوري حمودي القيسي ،١٣٩٠هـ -١٩٧٠م ،الطبيعة في الشعر الجاهلي ،دار الارشاد ، بيروت ، ط١.
- يونس أحمد السامرائي ،١٤٠١هـ -١٩٨١م ،ديوان خالد الكاتب (من شعراء القرن الثالث الهجري) ،مطبعة دار الرسالة ، ط١.
- يوسف حسين بكار ،١٩٧١م ،اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ،دار المعارف بمصر ،مكتبة الدراسات الأدبية ،د.ط .

Sources and References:

The Holy Quran
-Ibrahim Mahmoud Khalil, 1424 AH - 2003 AD, Modern Literary Criticism from Imitation to Deconstruction, Dar Al-Masirah for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1st ed.
-Ibn Manzur (630-711 AH) 1419 AH - 1999 AD, Lisan al-Arab, edited by: Amin Muhammad Abd al-Wahhab, Muhammad Sadiq al-Ubaidi, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Arab History Foundation, Beirut - Lebanon, 3rd ed.
-Abu al-Husayn Ahmad ibn Faris al-Razi (d. 395 AH), 1413 AH - 1993 AD, Night and Day, ed. Hamid al-Khaffaf, Dar al-Mu'arikh al-Arabi, Beirut, 1st ed.
-Ahmed Mohamed El-Hawfi, Ph.D., Love Poetry in the Pre-Islamic Era, Nahdet Misr Library in Faggala, Arab Statement Committee Press, 1st ed.
- Asmaa Rahmoun, 2018-2019, Night Photography between Imru' al-Qais and al-Nabigha al-Dhubyani (A Comparative Study), a thesis submitted for a Master's degree, Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, University of Kasdi Meriah, Ouargla
-Boumediene Krom, 1403 AH - 1983 AD, Nature in the Poetry of Ibn Khafaja Al-Andalusi, Master's Thesis, Faculty of Arts, University of Damascus.
-Hamza Hassan Al-Rafati, 2019, Nature in the Poetry of Muhyar Al-Daylami, Master's Thesis, College of Arts and Humanities, Department of Arabic Language and Literature, Al al-Bayt University.
-Haider Lazem Mutlaq, 2001 AD, Color in Al-Mutanabbi's Poetry, Department of Arabic Language - College of Education for Girls - University of Baghdad, Journal of the College of Education for Girls, Volume 14, Issue 4 (Research).
- Sayed Noufal, 1945 AD, The Book of Nature Poetry in Arabic Literature, Egypt Press, n.d.
-Shahla Khaled Muhammad Redha, 2020 AD, The poem "I weep for you, when my thirst is full, my weeping is for you" by Al-Sharif Al-Radi (a stylistic study), University of Baghdad - College of Engineering, Journal of Arab Scientific Heritage, Issue 47 (research).
-Shaima Najm Abdullah, 2020 AD, War Words and Their Connotations in Abbasid Poetry, Sardar Poetry as a Model: University of Baghdad: Journal of Arab Scientific Heritage, No. 47 (Research).
- Shaima Najm Abdullah, 2009 AD, The Stars and Planets of the Sky in the Poetry of Abu al-Ala al-Ma'arri: Vision and Employment, University of Baghdad - College of Education for Girls - Department of Arabic Language, Journal of the College of Arts, No. 90 (research).
-Atef Gouda Nasr, 1978, The Poetic Symbol in Sufism, Dar Al-Andalus, Dar Al-Kandari, Beirut, 1st ed.
-Ali Sadr al-Din ibn Ma'sum al-Madani (d. 1052-1120 AH), 1389 AH-1969 AD, Anwar al-Rabi' fi al-Ta'na al-Badi', al-Nu'man Press, Najaf al-Ashraf, 1st ed.
-Issam Lutfi Sabah, 2011, The Artistic Image in the Poetry of the Damascene Wawa, Master's Thesis, Faculty of Arts and Sciences, Middle East University.
-Ali Najib Atwi, 1414 AH - 1994 AD, Dhu al-Rummah, the Poet of Nature and Love, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed.
-Muhammad Saeed Mawlawi, 1964 AD, Diwan of Antarah ibn Shaddad, Islamic Office, Faculty of Arts, Cairo University, n.d.
-Muhammad Siddiq Hassan Abdul Wahab, 1428-1429 AH / 2007-2008 AD, The Desert in Pre-Islamic Poetry, PhD Thesis, Faculty of Arabic Studies, Omdurman Islamic University
-Nouri Hamoudi Al-Qaisi, 1390 AH - 1970 AD, Nature in Pre-Islamic Poetry, Dar Al-Irshad, Beirut, 1st ed.
-Younis Ahmed Al-Samarra'i, 1401 AH - 1981 AD, Diwan of Khalid Al-Kateb (one of the poets of the third century AH), Dar Al-Risala Press, 1st ed.
-Youssef Hussein Bakkar, 1971 AD, Trends in Love Poetry in the Second Century AH, Dar Al-Maaref, Egypt, Library of Literary Studies, n.d.